القرآن

كتابٌ وذكرٌ وفرقان

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. الحقُّ اسمٌ من أسماء الله تعالى ، وكلُّ ما يُدْعَى من دونه جلَّ وعلا هو باطل بمقدار ابتعاده عن الحق ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : 62] فالحقُّ من الله تعالى ، وكلُّ ما هو من الله تعالى هو حق ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة : 147] ..

.. ومن قمّة الباطل ، التلبيس على القرآن الكريم معيارِ الحق الذي نُعاير عليه عقيدتنا وفِكرَنا وثقافتنا ، فالتلبيس على كتاب الله تعالى هو محاولةٌ لهدم الأساس الذي يُبنى عليه الإسلام ، وهو تشويهٌ للأصل الذي منه تُستمَدُّ الأحكام .. وقد حصل ذلك في القرون الأولى عبر زعم مسألة الناسخ والمنسوخ ، فحذفوا ما أرادوا من أحكام ، بحجّة زعمهم لما يقولون عنه بأنَّه نُسخ حُكمه وبقي خطُّه ، وأضافوا ما أرادوا من أحكام ، بحجّة زعمهم

لما يقولون عنه بأنَّه نُسخ خطُّه وبقي حكمُه .. وقد بيّنت ذلك وبالتفصيل في كتاب : النظريّة الثالثة (الحق المطلق) ..

.. والزعم بتجزئة نصوص كتاب الله تعالى ، اعتماداً على مفاهيم خاطئة تعتبر أسماء الصفات للقرآن الكريم على أنَّها أسماء ذات ، هو تلبيسٌ على ما يحمله كتاب الله تعالى من دلالات .. فعدم وجود الترادف التام بين كلمات كتاب الله تعالى ، لا يعني أنَّ عطف أسماء الصفات على بعضها هو عطفٌ لذوات متباينة ..

.. للوقوف على حقيقة هذا الأمْر ، سنقف عند بيان كتاب الله تعالى للحدود الفاصلة بين أسماء الذات وأسماء الصفات .. ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ اسم الذات يتفرَّع عن جذره اللغوي ليصف ذاتاً محدَّدة بعينها ، وفي الوقت ذاته فإنَّ اسم الذات هو وصفٌ لهذه الذات بالصفة المحمولة بدلالات الجذر اللغوي الذي تفرَّع منه اسمُ الذات .. بينما اسم الصفة يتفرّع عن جذره اللغوي حاملاً الدلالات المحمولة بجذره اللغوي ، وذلك لوصف جانبٍ من الصفات التي تتّصف بها ذات أو أكثر ، فاسم الصفة قد يكون وصفاً لجانبٍ تشترك فيه ذواتٌ عديدة ..

.. وصْف الذات الواحدة بعدّة صفات ، لا يعني أبداً تعدّد هذه الذات بعدد الصفات التي تتَّصف بها ، ولا يعني أبداً تجزئة هذه الذات إلى أجزاء بعدد هذه الصفات .. واشتراك الذات بصفة من صفاتها مع ذواتٍ أُخرى ، لا يعني إلغاء هويّة هذه الذات وذوبانها في الذوات التي تشترك معها بهذه الصفة .. أبداً .. علينا أن ندرك الحدود الفاصلة ما بين أسماء الذات من جهة ، وما بين أسماء الصفات من جهةٍ أُخرى ..

مثلاً .. لفظ الجلالة (**الله**) تعالى ، هو اسم ذات ، يصف ذاتاً واحدة هي الله تعالى ، وفي الوقت ذاتِه فإنَّ اسم الذات (الله) كمشتقٍّ من الجذر (أ ، ل ، ه) يحمل ضمناً الصفة النابعة من دلالات هذا الجذر اللغوي .. بينما أسماء الصفات الأُخرى الواردة في كتاب الله تعالى هي نعوت للذات الإلهيّة ، وعطفها على بعضها هو عطف لصفات

متمايزة تتَّصف بها الذات الإلهيّة .. مثلاً .. في قولِه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : 3] ، نرى عطف الصفات : ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ ، ﴿ وَٱلظَّـٰهِرُ ﴾ ، ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ على الصفة ﴿ ٱلْأَوَّلُ ﴾ .. كلُّها صفات لله تعالى تتَّصف بها الذات الإلهيّة شأنها شأن باقي الصفات التي تتَّصف بها .. فهل من الممكن الذهاب إلى وجود أربعة آلهة بناء على هذا العطف ؟ ، أو إلى تجزئة الذات الإلهيّة إلى أربعة أجزاء ؟ .. لا يمكن ذلك ، لأنَّ هذه الأسماء هي أسماء صفات متمايزة تتَّصف بها الذات الإلهيّة .. فصفة : ﴿ ٱلْأَوَّلُ ﴾ بالتأكيد تختلف عن صفة : ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ ، وتختلف عن صفة : ﴿ وَٱلظَّـٰهِرُ ﴾ ، وتختلف عن صفة : ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ .. لكن .. الذات الإلهيّة تتّصف بهذه الصفات في الوقت ذاته ، تماماً كما تتّصف بباقي الصفات الأُخرى المذكورة في القرآن الكريم ..

.. نعم .. لا يُوجَد ترادف في كتاب الله تعالى .. لكن .. علينا أن نميِّز بين أسماء الذات من جهة وبين أسماء الصفات من جهةٍ أُخرى ، وعلينا أن نُدرك أنَّ الذات تحمل كلَّ الصفات التي تتَّصف بها ، بينما كلُّ اسم صفة يصوِّر جانباً ممّا تتَّصف به الذات ، ومن الممكن أن يصف أكثر من ذات .. فوصف الذات بعدّة صفاتٍ تتفرّع عن جذورٍ مختلفة ، لا يعني تعدّد الذات ، ولا يعني تجزئتها إلى أجزاء .. أبداً ..

.. هذا الأمر .. نراه في ورود كلمة (**القرآن**) كاسم ذات ، وفي ورود الكلمات : الكتاب ، الفرقان ، النور ، الذِّكر ، الروح ..... إلخ ، كأسماء صفات للقرآن الكريم .. فكما أنَّ كلمة (**التوراة**) اسم ذات ، وكلمة (**الإنجيل**) اسم ذات ، كذلك ، كلمة (**القرآن**) هي اسم ذات .. لذلك .. عندما يريد الله تعالى أن يُبيِّن لنا مسألةً تتعلَّق بهذه الكتب السماويّة كأسماء ذات ، يأتي بأسمائها هي ، ولا يأتي بأسماء صفاتها التي تتداخل فيما بينها ..

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾ [التوبة : 111]

.. ما نراه في كتابِ الله تعالى أنَّ كلمة : ﴿ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾ هي من مشتقّات الجذر اللغوي (ق ، ر ، أ) ، وهذا أمرٌ بدهي يُدركه من عنده حدٌّ أدنى من إدراك قواعد اللسان العربي .. وكلمة (قُرآن) على وزن (فُعلان) ، وهذا الوزن يفيد التفاعل المستمر والحيويّة والترابط في موضوع المسألة التي على هذا الوزن (فعلان) ..

.. وفي كتابِ اللهِ تعالى ، نرى أنَّ القراءة هي إدراك المحمول بالظاهر ، فقراءة الكتاب (أو القرآن) هي إدراك المعاني المحمولة بكلماته وجمله .. وكون كلمة الكتاب اسم صفة للقرآن ، لذلك فالقرآن (الذي هو الذات الحاملة لجميع الصفات التي تتَّصف بها) يُقرأ كما أنَّ اسم صفته (الكتاب) يُقرأ :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : 204]

﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ ﴾ [الإسراء : 93]

﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾ [المزمّل : 20]

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الانشقاق : 21]

.. فالكتب السابقة كانت تُقرأ ، مع أنَّها ليست قرآناً كاسم ذات :

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس : 94]

.. وأقرأ ، بمعنى لقَّن وجعلَ من يقع عليه الفعل يقرأ :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ..... ﴾ [الأعلى : 6 – 7]

.. وقراءة الكتاب أو القرآن ، لا تعني جمعه ، فقراءة القرآن هي النطق به ، بما هو مسطور فيه تماماً ..

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : 16 – 19]

.. وفي عطف الكلمتين ﴿ جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ بيان واضح لمن عنده ذرّة من إدراك ، بأنَّ دلالات المشتق (ق ، ر ، أ) والتي منها (**القرآن**) ، لا يمكن أن تكون بمعنى الجمع والاقتران من الجذر (ق ، ر ، ن) ، ومن قمّة الجهل تخيّل كلمة (**القرآن**) مشتقّة من الجذر (ق ، ر ، ن) ، فلا تُوجد ذرّة شك أنَّ (**القرآن**) من الجذر (ق ، ر ، أ) ..

وقراءة القرآن هي محاولة استنباط دلالاته الكامنة فيه ، والغوص في أعماقها .. ولذلك .. نرى أنَّ الله تعالى يأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم أثناء هذه القراءة ، وليس قبلها :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : 98] .. فالعبارة : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ لا تعني مجرّد نطقٍ بعبارة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) التي نقولها قبل البدء بتلاوة نصوص القرآن الكريم ، كما يتوهّم الكثيرون .. فأثناء غوصنا في دلالات نصوص القرآن الكريم ، علينا أن نحصّن أنفسنا بالله تعالى ، تدبّراً منهجيّاً سليماً لصياغة نصوص كتاب الله تعالى ، منعاً لأيِّ وهْمٍ شيطاني يتسرَّب إلى أذهاننا لحرفنا عن مُراد الله تعالى في نصوصه الكريمة ..

والقرء بالنسبة للمرأة ، يتعلَّق باستنباط مدّة دورتها الشهريّة ، وجاءت كلمة (**قُرُوء**) بهذه الصيغة ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة : 228] ، لتشمل كلَّ أنواع المطلّقات بمن فيهن المرأة الحامل ، حيث تستقرئ (تستنبط) مدّةَ دورتها الشهرية ، بناء على ما كانت عليه قبل حملها .. وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في كتاب : المعجزة الكبرى ..

.. وقراءة الكتاب ، هي قراءة لصفة يتَّصف بها اسم الذات ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ، فمن الطبيعي أنَّ اسم الذات يشمل كلَّ الصفات التي يتَّصف بها :

﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس : 94]

﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ [الإسراء : 93]

.. والقرآن الكريم كاسم ذات ، يشمل جميع الصفات ، تعود إليه صفة تفاعل المخلوقات الأُخرى (غير الإنسان) معه :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : 88]

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : 29]

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : 21]

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: 1]

.. ذِكْرُ الجن لصفة الكتاب هو من زاوية اشتراك القرآن الكريم بهذه الصفة مع الكتب السابقة ، فأصل صرف الجنِّ هو لاستماع القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : 29 - 30] ..

.. وما احتجَّ الكافرون على تنزيله مفرَّقاً على مدار (23) عاماً ، هو القرآن الكريم كذات تعود إليها كلُّ الصفات :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان : 32]

.. والذي يأمر الله تعالى بعدم جعْلِه عِضين ، هو القرآن الكريم ، كذات لا يجوز تجزئتها :

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجر : 91 – 93] ..

.. ورأينا أنَّ الاستعاذة من الشيطان الرجيم تكون حين قراءة (استنباط) دلالات القرآن الكريم ، كذات تعود إليها كلُّ الصفات :

﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : 98]

.. وما سيشكوه الرسول عليه السلام في الآخرة ، هو هجران القرآن الكريم بكلِّ صفاته التي يحملها :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان : 30]

.. والصفة (**عربي**) [والتي تعني الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص] تُطلَق على القرآن الكريم كاسم ذات يشمل جميع الصفات التي يتَّصف بها ، لتكون جميع صفاته متعلّقةً بهذا الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف : 2]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ..... ﴾ [طه : 113]

﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : 28]

﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصّلت : 3]

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ..... ﴾

[فصّلت : 44]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ..... ﴾ [الشورى : 7]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : 3]

.. وأتت كلمة (**عربي**) متعلّقةً بحال إنزال القرآن الكريم كحكم ، فحال إنزال القرآن الكريم ، هو أنَّه حكمٌ كاملٌ تامٌّ خالٍ من العيب والنقص ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ..... ﴾ [الرعد : 37]

.. وأتت صفة (**عربي**) لتصف اللسان (آليّة التبيان وأسلوب المخاطبة) الذي يمتاز به القرآن الكريم بما يحمله من صفات ، ومنها صفة الكتاب :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : 103]

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : 193 – 195]

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : 12]

.. والقيمة الروحيّة التي تحمل الشفاء للنفس المؤمنة ، تابعة للقرآن الكريم كذات تعود إليها جميعُ الصفات :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

[الإسراء : 82]

.. والموجود في الكتاب المكنون ، وفي اللوح المحفوظ ، هو القرآن ، كذات شاملة لكلِّ صفاتها :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : 77 - 78]

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : 21 – 22]

.. وما تمَّ إنزالُه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ، هو القرآن الكريم كذات تشمل جميع الصفات التي تتَّصف بها :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة : 185]

.. والكافرون بكتاب الله تعالى ، اعترضوا على القرآن الكريم كذات شاملة لكلِّ صفاتها ، وليس على مجرَّد صفة من صفاته :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : 15]

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٩ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : 37 – 40]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ [سبأ : 31]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصّلت : 26]

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [الزخرف : 31]

.. إذاً .. كون كلمة ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ اسم ذات تعود إليها كلُّ الصفات التي يتَّصف بها القرآن الكريم ، واسم ذات يعود إليها المنهج والمعجزة ، فإنَّ التحدّي للإنس والجن هو بالقرآن الكريم كذات تعود إليها كلُّ الصفات ، ليكون التحدّي بالقرآن الكريم وصفاته :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء : 88]

.. والقول الثقيل الذي يلقيه الله تعالى على رسولِه عليه السلام هو القرآن الكريم كذات تعود إليها كلُّ الصفات : ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزّمل : 5] ..

.. ولما كانت كلمة ﴿ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ اسم ذات تعود إليها كلُّ الصفات ، ويعود إليها المنهج والمعجزة ، فإنَّ تعليم الله تعالى للقرآن الكريم (بمعنى الوقوف على حقيقته) إنّما كان للنفس المجرَّدة ، قبل حلولها في جسمها وخضوعها لقوانين المكان والزمان :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن : 1 – 4]

.. فما نراه أنَّ الآية الكريمة : ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ ترد قبل الآية الكريمة : ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ .. فالوقوف على نهاية حقيقة القرآن الكريم كروح (صلة ومدد وقربى من الله تعالى) وكعمق باطن ، لا يكون في الحياة الدنيا حيث النفس مسجونة في غطاء الجسم ..

فما يحمله القرآن الكريم من تأويل (نهاية العمق الباطن لدلالات نصوصه) لصفة الكتاب التي نتفاعل معها ، لا يأتي إلاّ في الآخرة ، حيث النفس متحرّرة من سجن جسمها الدنيوي ..

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : 52 – 53]

.. ولذلك .. نرى أنّه في تعليم عيسى عليه السلام ، تُعطَف صفة الحكمة وكذلك التوراة والإنجيل على صفة الكتاب ، وذلك كون الأمْر يتعلّق بالتعليم ، وكون المنهج – في الرسالة الخاتمة – محمول في صفة الكتاب ، وكون التوراة والإنجيل منهجين لا علاقة لهما بالمعجزات التي أيّد الله تعالى بها رسله السابقين عليهم السلام ..

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : 48]

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ ﴾ [المائدة : 110]

فمن الطبيعي أن تُعطَف التوراة والإنجيل [كونهما منهجين لا علاقة لهما بالمعجزات] على صفة الكتاب ، التي يتعلّق بها المنهج ، وبها يتعلّق تعليم هذا المنهج ..

.. وما تعلّمه الرسول عليه السلام وكان يعلّمه ، يتعلّق بصفة الكتاب :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : 129]

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 151]

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : 164]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : 2]

.. وكلمة ﴿ ٱلذِّكْرِ ﴾ هي اسم صفة ، يتَّصف بها القرآن الكريم كذاتٍ تعود إليها كلُّ الصفات ، وهذا ما نراه جليّاً في قولِه تعالى ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص : 1] .. فهذه الآية الكريمة ، تحمل بياناً جليّاً بأنَّ القرآن الكريم كذات ، هو صاحب الذِّكْر : ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ .. القرآن الكريم هو ذو الذكر ، وليس العكس .. فالذات هي ما تحمل الصفة من صفاتها ، وليس العكس ..

.. ﴿ ٱلذِّكْرِ ﴾ من الجذر (ذ ، ك ، ر) ، ومن معاني مشتقّات هذا الجذر ، الاستحضار وعدم النسيان ، فذِكْر المذكور هو استحضاره ذهنيّاً ، وقوفاً على متطلّبات هذا الاستحضار ..

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران : 135]

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : 191]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : 11]

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ..... ﴾ [يوسف : 85]

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : 46]

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : 24]

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ..... ﴾ [الزمر : 45]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى : 14 – 15]

.. وذكَّر بالأمْر ، جعل الأمْر في ساحة الاستذكار والاستحضار وقوفاً على متطلبات هذا الاستحضار ..

﴿ ..... أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : 282]

﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: 5]

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : 44]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ ﴾ [السجدة : 22]

﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : 45]

.. ومن هذا الجانب للمعنى ، نرى أنَّ كلمة (ذَكَر) تحمل معنى حمل الاسم للنسل ، عبر الأجيال ، كتواصلٍ يحمل اسم الآباء ..

وكلمة الذِّكْر هي صيغة مصدر ، فهي شاملة لكلِّ الدلالات التي يحملها الجذر (ذ ، ك ، ر) ، وعلى رأس هذه الدلالات ، حفظ التواصل الدلالي ، كتواصل يتمُّ استحضاره مع الزمن .. من هنا كان القرآن الكريم ذِكْراً لقوم النبيِّ عليه السلام ، الناطقين بلسان كتاب الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : 44] ..

.. فالرفعة والشأن والقيمة ، يحملها كتاب الله تعالى لقوم النبيِّ عليه السلام ، كونهم ناطقين بلسانه .. فعبر الأجيال يتواصلون بحمل عتبة من إدراك دلالات كلماته ، فهم الأقدر على إدراك دلالاته بسبب حملهم لهذا الذِّكْر كتواصل دلالي معرفي من جيل لآخر .. لذلك .. يُرتّب هذا التواصل الدلالي المعرفي عليهم مسؤوليّة كبيرة ، سيُسألون عنها يوم القيامة ، إن لم يقوموا بواجبهم في إدراك دلالاته ، وإيصالها لباقي البشر ..

.. ومن خلال قوم النبيِّ عليه السلام ، حيث على عاتقهم إدراك دلالاته وإيصالها إلى العالمين ، وأنَّ الله تعالى سيسألهم يوم القيامة عن ذلك .. من خلال ذلك .. هو ذِكرٌ للعالمين ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يوسف : 104] ..

.. ومن هنا كان أهل الذِّكْر ، هم أهل التواصل المعرفي بما يتعلَّق بمنهج الله تعالى ..

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : 43]

.. ولمَّا كانت الرسالة الخاتمة تتضمَّن إضافة لنصِّ كتاب الله تعالى ، ما وصل للرسول عليه السلام من شعائر عبر ملّة إبراهيم عليه السلام ، ومن تواصل دلالي معرفي لعتبة من دلالات كلمات كتاب الله تعالى ، بالنسبة للنبيِّ عليه السلام وقومه ، نرى أنَّه تم عطف القرآن الكريم – كنص – على الذِّكْر ..

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس : 69 – 70]

.. فما تعلَّق بالتعليم المنفي من الله تعالى لرسوله عليه السلام هو الشعر ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ ﴾ ... وما تشير إليه كلمة ﴿ هُوَ ﴾ ، يتعلَّق بما يحمله الرسول عليه السلام كمنهج من الله تعالى ، وهو : ﴿ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ :

1 – تواصل دلالي معرفي لعتبة من دلالات كلماته ، وتواصل شعائري تعبّدي عبر ملّة إبراهيم عليه السلام [وقد بيّنت ذلك بالتفصيل في بحث (أقم الصلاة)] ..

2 – نصُّ القرآن الكريم ..

.. فما الفائدة من حفظ رسم نصوص القرآن الكريم ، إن لم يكن هناك تواصل دلالي معرفي (عبر الأجيال) لعتبة من دلالات كلماته ، وإن لم يكن هناك تواصل معرفي لما

يأمرنا الله تعالى – في كتابه الكريم – باتِّباعه ، حيث يأمرنا باتّباع ملّة إبراهيم عليه السلام بما يتعلَّق بها من شعائر العبادات ، تلك الشعائر التي أوحى الله تعالى فعلها لإبراهيم وأبنائه عليهم السلام ؟ ..

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء : 72 – 73]

.. ما نراه أنَّ الله تعالى أوحى إليهم الفعل : ﴿ فِعْلَ ﴾ : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ ﴾ ... فالله تعالى لم يقل : (وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة) ، بمعنى : الوحي ليس أمراً للقيام بالفعل ، الوحي هو للفعل ذاته وما يتعلَّق به من علم لحيثيّاته ... ما أوحاه الله تعالى إليهم في هذه الأمور هو الفعل ﴿ فِعْلَ ﴾ ، أي كيفيّة العمل فيها ، أي الآليّة التي سيتفاعلون بها مع هذه الأمور .. فإقام الصلاة مثلاً ، كفعل ، وما يتعلَّق بها من هيآت ، هو ممّا أوحاه الله تعالى إليهم عليهم السلام .. وهذا كتواصل معرفي – بالنسبة لنا كمتّبعين للرسالة الخاتمة – هو من الذِّكْر الذي يُعطَف عليه نصُّ القرآن الكريم :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس : 69 – 70]

.. وفي سورة (ص) وبعد قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص : 45 – 48]

.. بعد ذلك مباشرة .. يقول تعالى ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ﴾ :

﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : 49]

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌ ﴾ ، تعني – فيما تعني – أنَّ القرآن الكريم ، يحمل تواصلاً معرفيّاً ، فيما يتعلّق بملّة إبراهيم عليه السلام وما تبعه من رسل ، اتّبعوا ملّته ..

.. ما أودُّ قوله أنَّ التواصل الدلالي المعرفي ، سواء لعتبة من معاني دلالات كلمات كتاب الله تعالى ، أم لملّة إبراهيم عليه السلام وما يتعلّق بها من شعائر ، هو ذِكْرٌ محفوظ من الله تعالى ، كحفظ نصّ القرآن الكريم ، حيث يتّصف القرآن الكريم بصفة الذِّكْر .. فما جاءنا بالذِّكْر ، يحمل له القرآن الكريم كليّات في ظاهر دلالاته ، وجزئيّات في باطن دلالاته ... ومن هنا كان حفظ الله تعالى لمنهج الرسالة الخاتمة متعلّقاً بالذِّكْر ، ليشمل النصَّ القرآني الذي يُوصَف بالذِّكْر كنصٍّ خاتمٍ فيه محتوى كلّ الرسالات السابقة ، وليشمل ملّةَ إبراهيم عليه السلام بما يتعلَّق بها من شعائر ، وليشمل عتبة من دلالات كلمات كتاب الله تعالى كتواصل دلالي معرفي عبر الأجيال ، إلى قيام الساعة ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر : 9 – 10]

.. فما بين تنزيل الله تعالى للذِّكْر وحفظه في منهج الرسالة الخاتمة من جهة ، وبين ما أرسله الله تعالى في الأوَّلين قبل الرسالة الخاتمة من جهة أُخرى ، نرى تناظراً تامّاً في عدد الكلمات والحروف ، ما بين ركني هذا التناظر :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ = (7) كلمات = (28) حرفاً

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ = (7) كلمات = (28) حرفاً

.. إذاً كلمة ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ كاسم ذات ، تحمل جميع الصفات ، ومنها صفة الذِّكْر ، ومن قمّة الجهالة ، حصر صفة الذِّكْر كصفة من صفات القرآن الكريم ، بالصيغة الصوتيّة

للقرآن الكريم (((حيث تصف – صفة الذِّكْر – أيضاً – كما رأينا – التواصل المعرفي لما يتعلَّق بملّة إبراهيم عليه السلام ، وبعتبة من معرفة دلالات كلمات كتاب الله تعالى)))

... الصيغة الصوتيّة التي تُسمَع ، تتعلَّق بالقرآن كاسم ذات :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : 204]

.. الصيغة الصوتيّة التي تُسمَع ، نراها تتعلَّق باسم الذات : ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ .. فالسماع والإنصات ﴿ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ يتعلَّق بالقرآن الكريم ، كذاتٍ تعود إليها كلُّ الصفات ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: 1]

.. فالصيغة السمعيّة : ﴿ سَمِعْنَا ﴾ نراها تتعلَّق باسم الذات القرآن : ﴿ سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ ... وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصّلت : 26] ... وهذا ما نراه في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : 29] ..

ومن قمّة الجهالة ، اعتبار الصيغة الصوتيّة محصورةً بالذِّكْر ، استشهاداً بقوله تعالى :

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : 2]

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : 51]

.. الذِّكْر – كما رأينا – هو اسم صفة من مجموعة أسماء الصفات للقرآن الكريم ، ورأينا تعلّق الصيغة الصوتيّة كسماع بالقرآن الكريم كذات ، حيث الذِّكْر صفة من صفات هذه الذات ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص : 1] .. فكيف إذاً يمكن لعاقل أن يتخيَّل أنَّ تعلّق السماع بصفة من صفات الذات يعني حصر السماع بهذه الصفة ، وهو يرى بعينيه – في الوقت ذاته – تعلّق السماع بالذات (**القرآن**) ، ويرى تعلّق السماع بأمور وصفات أخرى ؟!!! ..

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ ..... ﴾ [المائدة : 38]

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ ..... ﴾ [الأعراف : 198]

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا ..... ﴾ [الأنفال : 31]

﴿ ..... فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ..... ﴾ [التوبة : 6]

﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ ... ﴾ [الجاثية: 8]

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ..... ﴾ [الأحقاف : 30]

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ ..... ﴾ [الجن : 13]

.. والقول بأنَّ الذِّكْر هو الصيغة الصوتيّة للقرآن الكريم ، وذلك انطلاقاً من كون صفة ((**عربي**)) تعلّقت بالقرآن الكريم ، هو قول فاسد ، لأنَّ كلمة ((**عربي**)) لا علاقة لها بالبعد القومي .. إطلاقاً .. وقد بيّنت ذلك في النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر) وفي بحث (إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً) .. فكلمة ((**عربي**)) تعني الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص ، ولا علاقة لها بالبشر وقوميّاتهم .. إطلاقاً .. ولا مجال في هذا السياق لإعادة شرح هذا الأمر بالتفصيل .. لكن .. وعلى عجل أقول : هل أحكام القرآن الكريم هي خاصّة بقوم العرب بناء على قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ ﴾ [الرعد :

37] ؟ .. أليس المعنى هنا أنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ، حال كونه حُكماً تامّاً كاملاً ، لا عيب فيه ولا نقص ؟ ..

.. أليست كلمة : ﴿ عُرُبًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة : 35 – 37] ، تعني أنَّ اللاتي سينشئهنّ الله تعالى في الآخرة ، كاملات تامّات خاليات من أيِّ عيب أو نقص .. وهل من الممكن لعاقل أن يتخيّل أنَّ كلمة : ﴿ عُرُبًا ﴾ هنا تعني من مصر أو سوريا أو الجزائر ..... ؟!!! ..

.. هل القرآن الكريم أنزله الله تعالى للعرب ، أم للبشريّة جمعاء ؟ .. أليس قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : 2] يعني : إنّا أنزلناه قرآناً كاملاً تامّاً خالياً من أيِّ عيب أو نقص ، لعلّكم أيها الناس تعقلون ؟ ... الشرح الكامل لهذا الأمر موجود في كتاب (إحدى الكُبَر) وفي بحث (إنّا أنزلناه قرآناً عربيّاً) ..

.. صفة الذكر التي يتَّصف بها القرآن الكريم دلالاتها واسعة ، وتصف – إضافة للقرآن الكريم – التواصل المعرفي لملّة إبراهيم عليه السلام ، وتصف أيضاً عتبة من معرفة دلالات كلمات كتاب الله تعالى ، فصفة الذكر محمولة في القرآن الكريم ، وليست خاصّة فيه فقط .. من هنا نرى معنى الذِّكْر في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 17] ، فالقرآن الكريم يسَّره الله تعالى لعلم التواصل الدلالي المعرفي المحمول في دلالات نصوصه .. ومن هنا نرى معنى الذِّكْر في قوله تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم : 51 – 52]

.. كلمة ﴿ ٱلذِّكْرَ ﴾ في الآية الأولى والمعرَّفة بأل التعريف : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ تحمل بياناً لوصف صفة

الذِّكْر التي يتّصف بها القرآن الكريم .. وكلمة ﴿ ذِكْرٌ ﴾ في الآية الثانية : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ تحمل بياناً لوصف الرفعة والسمو والعلو في نفوس العالمين كنتيجة لاتّباعهم لصفة ﴿ ٱلذِّكْرِ ﴾ التي يتَّصف بها القرآن الكريم ، حيث القرآن الكريم يحمل لهم تواصلاً دلاليّاً معرفيّاً يصلهم بالحق المحمول بكلِّ الرسالات السماويّة السابقة ..

.. ومن هنا نرى كيف أنَّ صفة الذِّكْر التي تصف القرآن الكريم وتُوصف بصفة الحكيم ، تُعطف على الآيات التي تصوِّر أحكام القرآن الكريم ودلالاته ومعجزاته :

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : 58]

.. فالقرآن الكريم ، الذي يتّصف بصفة الذكر ، يتَّصف – أيضاً – بكلِّ صفاته الأُخرى ، والتي منها صفة الكتاب ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ..... ﴾ [فصّلت : 41 – 44]

.. أليست الكلمات : [[﴿ بِٱلذِّكْرِ ﴾ ،، ﴿ لَكِتَٰبٌ ﴾ ،، ﴿ قُرْءَانًا ﴾]] ، تعود إلى أمرٍ واحد ؟ .. هذا ما يدركه كلُّ إنسان يملك حدّاً أدنى من قواعد اللغة ..

.. وتلقّي الرسول عليه السلام للقرآن الكريم من لدن الحكيم العليم : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل : 6] ، يقتضي تلقيه عليه السلام لأيِّ صفة من الصفات التي يتَّصف بها القرآن الكريم كصفة الذِّكْر :

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر : 25]

.. والإلقاء لصفة الكتاب على الرسول ، نراه متعلّقاً برجاء الرسول عليه السلام الذي فرض الله تعالى عليه القرآن كذات تعود إليها كلُّ الصفات والتي منها صفة الكتاب :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [القصص : 85 – 86]

.. وصفة (الكتاب) دلالاتها واسعة ، وتناولها يقتضي الوقوف عند دلالات الجذر اللغوي (ك ، ت ، ب) ، عبر المرور على جميع مشتقّات هذا الجذر في كتابِ الله تعالى .. حصراً في كتابِ الله تعالى .. والبحث عن رابط من المعنى يربط جميع هذه المشتقّات ..

.. من أهم معاني الجذر (ك ، ت ، ب) في كتابِ الله تعالى هو الخط والنسخ ، وهذا ما يتجلّى معنا في قولِه تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [البقرة : 282]

العبارة : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ ، واضحة في تبيان نسخ عقد المداينة في سطور تتضمَّن بنود هذا العقد ، والعبارة : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ واضحة في أنَّه هناك نصٌّ لا بدَّ من كتابته ، حتى ولو كان الذي عليه الحق ﴿ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ ..

وهذا المعنى للخطِّ كحروف مرسومة ، نراه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان : 5] ، ونراه أيضاً في قولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : 48] .. وهذا ما نراه أيضاً في قولِه تعالى : ﴿ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الطور : 41] .. وهذا ما نراه في قوله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79] ..

.. وتأتي كُتِبَ بمعنى : أُلزِم وفُرِض : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ [البقرة : 178] .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 183] .. ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ ..... ﴾ [البقرة : 183] ..

.. وكتب بمعنى : ألزم واعتمد : ﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾ [الأنعام : 54] .. وتأتي كتب بمعنى : طبع : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ [المجادلة : 22] .. وتأتي كتب بمعنى حدَّد وقرَّر : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ ﴾ [التوبة : 51] .. وتأتي كتب بمعنى : جعل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ [المجادلة : 22] .. وتأتي بمعنى منح وأعطى : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف : 156] .. وتأتي بمعنى :

وثّق : ﴿ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : 80] ..

.. والدلالة الأكثر وضوحاً وظهوراً لكلمة كتاب في كتاب الله تعالى هي : الحامل الخطّي للشريعة التي أنزلها اللهُ تعالى :

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : 44] ..

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [البقرة : 213] ..

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [آل عمران: 119]

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : 89] ..

.. وكلمة الكتاب ترد في كتاب الله تعالى كاسم جنس للكتب السماويّة :

﴿ ... ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ... ﴾ [البقرة: 177]

﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ..... ۚ ﴾ [البقرة : 213]

﴿ ..... وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ..... ﴾ [النساء : 136]

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ ﴾ [الشورى : 15]

فما يتمُّ تعليمه هو الكتاب ، وكنّا قد وقفنا عند هذا الأمر :

﴿ ..... وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ ..... ﴾ [البقرة : 129]

﴿ ..... وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ..... ﴾ [البقرة : 151]

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : 48]

﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران : 79]

﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[آل عمران: 164]

﴿ .... يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ .... ﴾ [الجمعة : 2]

.. وكلمة الكتاب تعني – فيما تعنيه – أصله الذي منه أُنزلت الكتب السماويّة ، بما فيها القرآن الكريم ..

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ ﴾ [الكهف : 27]

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ ﴾ [العنكبوت : 45]

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا ..... ﴾ [فاطر : 31]

.. والوعظ وبيان الأحكام يكون من خلال صفة الكتاب :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة : 231]

.. فالأحكام والأوامر والنواهي محمولة بالكتاب :

﴿ ..... مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ ﴾ [البقرة : 159]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ..... ﴾ [النساء : 105]

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ ..... ﴾ [النساء : 140] ..

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم: 1]

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ ﴾ [النحل : 64]

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ ..... ﴾ [الإسراء : 4]

.. والتفصيل يتعلّق بصفة الكتاب :

﴿ ..... وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الأنعام : 114] ..

﴿ ..... ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَىۡءٖ ﴾ [الأنعام: 154]

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ ..... ﴾ [الأعراف : 52]

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : 1]

.. وصيغة الكتاب ليست محصورة برسالة محدَّدة بعينها ، فهي اسم صفة وُصفت بها الكتب السماويّة :

﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : 53] ..

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ ﴾ [البقرة : 87]

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَىۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ ﴾ [البقرة: 113]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ [مريم : 30] ..

﴿ ..... فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ ..... ﴾ [يونس : 94]

.. وفي كتاب الله تعالى تمّت إضافة الكتاب للرسول الذي أُنزل إليه الكتاب :

﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ ﴾ [هود : 17] ..

.. فالكتاب هو مضمون الشريعة المخطوط الذي في متناول التلاوة :

﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: 78]

.. والكتاب هو الحامل لبيان الأمر المحدَّد المحمول في السياق :

﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة : 235] ..

فالعبارة ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ ، بمعنى : حتّى يبلغَ الحكمُ (الذي حدّده الله تعالى وألزمنا به) وقته ..

.. والكتاب هو الحامل لعلم الله تعالى الكاشف حيث يحدَّد فيه كلّ ما هو كائن ويكون وسيكون :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام : 38]

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59]

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : 6]

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : 61]

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : 70]

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : 75]

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : 3]

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : 11]

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : 22]

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴾ [النبأ : 29]

.. وكتاب الأمر ، هو فرضُهُ وحقيقته وبيانه :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : 103]

.. وكتاب الله تعالى ، هو علمه وقدره وسننه التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر :

﴿ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال : 75]

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة : 36]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : 56]

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن ... ﴾ [الأحزاب: 6]

وكتاب الله تعالى ، هو منهجه :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 101]

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : 23]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : 29]

.. وكتاب الله تعالى هو الحامل لحكمه :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ..... ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ حَكِيمًا ﴾ [النساء : 23 - 24] ..

فالعبارة ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ حَكِيمًا ﴾ تعني : حكمَ الله تعالى عليكم وفريضة الله تعالى عليكم ..

فالدراسة تكون في الكتاب : ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ [القلم : 37] ..

.. من هنا .. فوقت حدوث أيِّ حادثة (أجلها) محدَّد ومعلوم بعلمه تعالى ، فكلُّ أجل له كتابه :

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: 38]

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ [آل عمران : 145]

.. فالكتاب هو الحامل لأمر محدَّد معلوم مسبقاً :

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : 68]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ..... ﴾ [النور : 33]

وكتاب الشيء هو الحامل لحقيقته وكينونته ومآله :

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : 28]

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطفّفين : 7 – 9]

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطفّفين : 18 – 21]

من هنا كان الكتاب المتعلّق بأعمال البشر حاملاً لكلّ ما يعملونه :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الأنفال : 68]

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : 51 – 52]

والكتاب هو الصيغة الخطيّة الحاملة لأمرٍ محدَّد :

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : 28 - 29]

فالكتاب هو الحامل لأمرٍ مسطورٍ فيه :

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء : 58]

.. وكما أنَّ القرآن أُنزل ونُزِّل ..

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : 2]

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ [الإنسان : 23]

كذلك الكتاب كصفة يتَّصف بها القرآن الكريم أُنزل ونُزِّل :

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ..... ﴾ [إبراهيم : 1]

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ..... ﴾ [آل عمران : 3]

.. إذاً .. الكتاب اسم صفة للقرآن الكريم ، شأنه كشأن أسماء الصفات الأُخرى .. ومن قمّة الخطأ الاعتماد على لغة البشر الاصطلاحيّة ، لحصر مشتقّات الجذر (ك ، ت ، ب) بمعنى : تجميع شيء إلى شيء لإخراج شيء مُفيد .. هذا لا أساس له في مشتقّات الجذر (ك ، ت ، ب) في كتاب الله تعالى .. فكما رأينا ، لا يحمل كتاب الله تعالى ولو إشارة لذلك .. ومن الخطأ الأكبر إسقاط مصطلحات البشر الوضعيّة على دلالات كلمات كتاب الله تعالى ..

ومن يرى في الآيتين التاليتين دليلاً على جعل القرآن والكتاب أمرين متمايزين لكلٍّ منهما حدوده المختلفة عن الآخر ، فهو تائه ، و لم يقف على حقيقة صياغتهما ..

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : 1]

﴿ طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : 1]

ما نراه أنَّ حرف العطف ﴿ وَ ﴾ بين القرآن والكتاب [﴿ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ ﴾ ،، ﴿ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ ﴾] يعطفهما على بعض ، كمضاف إليه لُمضاف هو كلمة : ﴿ ءَايَٰتُ ﴾ .. فالآيات ذاتُها ، هي آيات الكتاب ، وهي ذاتها آيات القرآن .. فكلمة ﴿ تِلْكَ ﴾ هي مبتدأ خبرُه هو كلمة ﴿ ءَايَٰتُ ﴾ المُضافة ل [﴿ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ ﴾ ،، ﴿ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ ﴾] .. فكلُّ آية تتعلَّق بالكتاب وتتعلّق بالقرآن في الوقت ذاته .. وبالتالي .. لا تُوجد آية تتعلَّق بالكتاب ولا تتعلَّق بالقرآن ، ولا تُوجد آية تتعلَّق بالقرآن

ولا تتعلّق بالكتاب .. وهذا ينفي كون القرآن الكريم والكتاب ، لكلٍّ منهما حدوده المختلفة عن الآخر ، كما يتوهّم من يستشهد بهاتين الآيتين على ذلك .. والعطف هنا هو عطف لصفتين ، إحداهما نابعة من الجذر : (ك ، ت ، ب) والأُخرى نابعة من الجذر : (ق ، ر ، أ) .. فكما قلنا .. اسم الذات هو في الوقت ذات يحمل الصفة النابعة من جذره اللغوي ..

.. والآية الكريمة : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ، يمكننا أن نقرأ دلالاتها بالشكل : (تلك آياتُ الكتابِ وآياتُ قرآنٍ مبين) ، وهنا ، العطف هو لآيات القرآن على آيات الكتاب ، وليس للقرآن على الكتاب ، بمعنى : العطف هو للمضاف وليس للمضاف إليه .. فالله تعالى لم يقل : (ذلك الكتابُ وقرآنٌ مبين) ، العطف ليس للقرآن على الكتاب ، العطف هو للآيات التي تعني الأدلّة والمعجزات .. ولا شكَّ أن الآيات المتعلّقة بالقرآن كذات تشمل المعجزة إضافة للمنهج وتشمل كلَّ الصفات ، لها خصوصيّتها عن آيات الكتاب ، كون الكتاب يحمل الأحكام والأدلّة التي يطلب الله تعالى من البشر اتّباعها ، ولا يشمل باقي الصفات ..

.. فمن هذا المنظار .. قوله تعالى : ﴿ الٓرٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني : تلك آياتُ الكتابِ وآياتُ قرآنٍ مبين ، فآيات (أحكام ودلالات وبراهين وأدلّة) الكتاب تتعلَّق بأحكام المنهج المحمولة بالنصوص ، وآيات (أحكام ودلالات وبراهين وأدلّة) القرآن تتعلَّق بكلٍّ صفات القرآن الكريم ، والتي منها المعجزة ..

وهذا العطف للعام على الخاص ﴿ الٓرٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وذلك كون القرآن هو الذات والكتاب هو من أسماء صفاته ، والعطف للخاص على العام ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وذلك كون الكتاب هو اسم صفة من أسماء صفات القرآن كذات .. هذا العطف وارد في كتاب الله تعالى :

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : 238]

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : 7]

.. وما نراه في كتاب الله تعالى ، أنَّ الكتاب الذي أنزله الله تعالى للناس ، كحامل للأحكام يبيّنها الله تعالى لهم ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : 159]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : 41]

.. هذا الكتاب .. هو هدى للمتّقين ، وللمؤمنين به ، وللمسلمين ، وللمحسنين ، كون هؤلاء هم فقط – من جملة الناس – من يتّبع أحكامه ..

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : 2 – 4]

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : 52]

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : 64]

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : 89]

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان : 2 – 4]

.. فما نراه أنَّ صفة ((الكتاب)) بما تحمله من أحكام يريد الله تعالى منّا اتّباعها ، يهتدي بها المتّقون والمؤمنون والمحسنون والمسلمون ، وليس كلُّ الناس ..

بينما ((القرآن)) كاسم ذات يشمل كلَّ الصفات (ومنها صفة الكتاب) ويشمل المنهج والمعجزة ، فإنَّه هدى للناس كلِّ الناس ، سواء كانوا مؤمنين به أم كافرين ، فالمعجزة التي يحملها القرآن الكريم هي لكلِّ الناس ... من هنا نرى أنَّ القرآن الكريم هو هدى للناس كلِّ الناس ، ويحمل أمثالاً لكلِّ الناس ..

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : 185]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ۝٥٤ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف : 54 – 55]

.. وكون المؤمنين من الناس فإنَّ ((**القرآن**)) كاسم ذات ، هو أيضاً هدى لهم ..

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : 76 – 77]

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصّلت : 44]

.. وكون القرآن الكريم يحمل المنهج والمعجزة ، ويشمل كلَّ الصفات ، وبمجرّد نطقنا بنصوصه ، أو سماعها ، أو التفاعل مع أيِّ صفة من صفاته ، نكون على اتّصال معه ، فإنّنا نرى أنَّ الإشارة إليه تكون بكلمة : ﴿ هَٰذَا ﴾ ..

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام : 19]

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ﴾ [يونس : 15]

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ..... ﴾ [يونس : 37]

﴿ ... أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: 3]

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ..... ﴾ [الإسراء : 9]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء : 41]

﴿ ..... عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ..... ﴾ [الإسراء: 88]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ..... ﴾ [الإسراء : 89]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ ..... ﴾ [الكهف: 54]

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : 30]

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ..... ﴾ [النمل : 76]

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ ..... ﴾ [الروم : 58]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ..... ﴾ [سبأ : 31]

﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[الزمر: 27]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ..... ﴾ [فصّلت : 26]

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [الزخرف : 31]

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا ..... ﴾ [الحشر: 21]

.. ونرى أنَّه يُشار إلى الكتاب ب ﴿ هَٰذَا ﴾ و ب ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، ويكون ذلك حسب الدلالات المحمولة في السياق .. فالكتاب هو صفة من صفات القرآن الكريم ..

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : 2]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ..... ﴾ [الأنعام : 92]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام : 155]

﴿ ..... وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ..... ﴾ [الأحقاف : 12]

.. وصفة ﴿ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ المشتقّة من الجذر (ف ، ر ، ق) ، هي اسم صفة يتّصف بها القرآن الكريم ..

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 1]

وأيضاً تتّصف بها الكتب السماوية الأُخرى ، فالفرقان آتاه الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ..

﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة : 53]

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : 48]

.. وصفة ﴿ ٱلنُّور ﴾ ب أل التعريف ، لم ترد بالنسبة للرسالات السماويّة إلاّ للقرآن الكريم ..

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: 157]

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن : 8]

.. أمّا مسألة الإخراج من الظلمات إلى النور على يد الرسل عليهم السلام ، فهي مسألة واردة في الرسالات السابقة ، وفي الرسالة الخاتمة ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : 5]

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : 1]

.. أمّا ورود كلمة ﴿ نُور ﴾ (بصيغة النكرة) ، فكان للرسالات السابقة ، وللرسالة الخاتمة ..

﴿ ..... جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : 174]

﴿ ..... قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ..... ﴾ [المائدة : 15]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : 44]

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : 46]

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا ..... ﴾ [الأنعام : 91]

﴿ ... وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [الشورى : 52]

.. وصفة ﴿ ٱلرُّوحَ ﴾ خاصّة بالقرآن الكريم .. فالكتاب الوحيد – من بين الكتب السماويّة – الذي وُصف بالروح هو القرآن الكريم ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [الشورى : 52 – 53]

وقد بيّنت في كتاب (المعجزة الكبرى) ، وبأدلّة لغويّة وعدديّة ، أنَّ القرآن الكريم ، محمول بجملة ما تعنيه كلمة ﴿ ٱلرُّوحَ ﴾ في قوله تعالى التالي ، حيث السياق التالي لها يتعلّق بما يتمحور حول القرآن الكريم ..

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : 85 – 89]

.. وصفة ﴿ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ ، أيضاً هي صفة خاصّة بالقرآن الكريم ، فهي تعني : العطاء الكثير الذي أعطاه الله تعالى للرسول عليه السلام ، وفي كتاب المعجزة الكبرى بينت ذلك بالأدلة اللغويّة والعدديّة ..

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : 1 – 3]

.. إذاً .. كلمة القرآن هي اسم ذات ، تعود إليها كلُّ الصفات الأخرى : الكتاب ، الذكر ، النور ..... ، كما أنَّ التوراة والإنجيل اسما ذات .. وكنّا قد رأينا كيف أنَّ القرآن يُعطف على التوراة والإنجيل كاسمي ذات :

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة : 111]

.. ومن هنا .. كان السجود متعلّقاً بقراءة القرآن وتلاوته ، كاسم ذات ، تعود إليها كلُّ الصفات ..

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الانشقاق : 21]

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء : 106 – 107]

.. ومن .. هنا كان الأمر الإلهي بالتذكير متعلّقاً بالقرآن كاسم ذات تشمل جميع الصفات : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : 45] ..

.. وما يسَّره الله تعالى للذكر هو اسم الذات (القرآن) ، كون الذات هي الحاوية على أسماء الصفات ، لا العكس ..

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 17]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 22]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 32]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : 40]

.. وكنّا قد رأينا أنَّ ما احتجَّ الكافرون على تنزيله مفرَّقاً على مدار (23) عاماً ، هو القرآن الكريم كذات تعود إليها كلُّ الصفات :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [الفرقان : 32]

.. ورأينا أنَّ الذي يأمر الله تعالى بعدم جعْلِه عِضين ، هو القرآن الكريم ، كذات لا يجوز تجزئتها :

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : 91 – 93]

.. ورأينا أن الاستعاذة من الشيطان الرجيم ، تكون حين قراءة دلالات القرآن الكريم كذات تعود إليها كلّ الصفات :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : 98]

.. ورأينا أنَّ ما سيشكوه الرسول عليه السلام في الآخرة ، هو هجران القرآن الكريم بكلِّ صفاته التي يحملها :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : 30]

.. ورأينا أنَّ صفة صفة (**عربي**) [والتي تعني الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص] تُطلَق على القرآن الكريم كاسم ذات يشمل جميع الصفات التي يتَّصف بها ، لتكون جميع صفاته متعلّقةً بهذا الكمال والتمام والخلو من العيب والنقص ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : 2]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ..... ﴾ [طه : 113]

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : 28]

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصّلت : 3]

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ..... ﴾ [فصّلت : 44]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ..... ﴾ [الشورى : 7]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : 3]

.. ورأينا أنَّ كلمة (عربي) أتت متعلّقةً بحال إنزال القرآن الكريم كحكم ، فحال إنزال القرآن الكريم ، هو أنَّه حكمٌ كاملٌ تامٌّ خالٍ من العيب والنقص ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ..... ﴾ [الرعد : 37]

.. وأنَّ صفة عربي أتت لتصف اللسان (آليّة التبيان وأسلوب المخاطبة) الذي يمتاز به القرآن الكريم بما يحمله من صفات ، ومنها صفة الكتاب :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : 103]

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : 193 – 195]

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : 12]

.. ورأينا أنَّ القيمة الروحيّة التي تحمل الشفاء للنفس المؤمنة ، تابعة للقرآن الكريم كذات تعود إليها جميعُ الصفات :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : 82]

.. ورأينا أنَّ الموجود في الكتاب المكنون ، وفي اللوح المحفوظ ، هو القرآن ، كذات شاملة لكلِّ صفاتها :

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : 77 - 78]

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ [البروج : 21 – 22]

.. ورأينا أنَّ ما تمَّ إنزالُه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ، هو القرآن الكريم كذات تشمل جميع الصفات التي تتَّصف بها :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : 185]

.. ورأينا أنَّ الكافرين بكتاب الله تعالى ، اعترضوا على القرآن الكريم كذات شاملة لكلِّ صفاتها ، وليس على مجرَّد صفة من صفاته :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : 15]

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ

تُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : 37 – 40]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ ﴾ [سبأ : 31]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصّلت : 26]

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : 31]

ورأينا أنَّ التحدّي للإنس والجن هو بالقرآن الكريم كذات تعود إليها كلُّ الصفات ، ليكون التحدّي بالقرآن الكريم وصفاته :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : 88]

.. ورأينا أنَّ القول الثقيل الذي يلقيه الله تعالى على رسولِه عليه السلام ، هو القرآن الكريم ، كذات تعود إليها كلُّ الصفات : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزّمل : 5] ..

.. ورأينا أنَّ تعليم الله تعالى للقرآن الكريم (بمعنى الوقوف على حقيقته) إنّما كان للنفس المجرَّدة ، قبل حلولها في جسمها وخضوعها لقوانين المكان والزمان :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : 1 – 4]

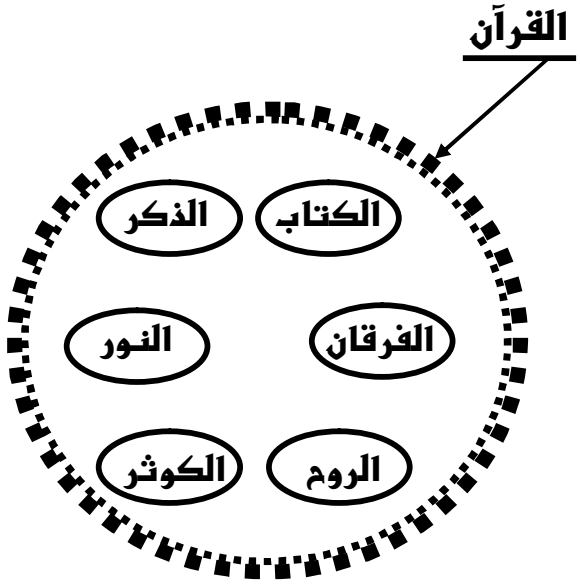

.. وفي هذا السياق ، سنقف عند الفارق بين إنزال القرآن الكريم ، وبين تنزيله ..

.. إنزالُ الأمرِ أو الشيءِ ((من الفعل : أنزلَ)) من ساحةٍ إلى ساحة ، يعني تَحَوُّلَهُ بما يُوافقُ قوانينَ الساحةِ التي أُنزلَ إليها ، لِجعلِهِ مُسَخَّراً داخلَ إطارِ هذهِ الساحة ..

.. بينما تتزيلُ الأمرِ أو الشيء ((من الفعل نزّلَ)) من ساحةٍ إلى ساحة ، لا يعني تَحَوُّلاً في ماهيّةِ المُنَزَّل ، كما هو الحالُ في تحولِ ماهيّةِ المُنْزَل .. فالتَنْزيلُ يعني ثباتَ ماهيّةِ المُنَزَّل ما بين ساحتي التَنْزيل ..

.. القرآنُ الكريمُ انفردَ بالتنزيلِ من عندِ اللهِ تعالى ، وهناك آيات كريمة تُبيِّنُ ذلك ، منها على سبيلِ المِثال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴾ [الإنسان : 23]

.. وفي الوقتِ ذاتِه لا نرى نَصَّاً قُرآنيّاً واحِداً يُشيرُ إلى تنزيلِ أيٍّ منَ الكُتُبِ السماويَّةِ الأُخرى من عِندِ اللهِ تعالى ..... وهناك نَصٌّ واحِدٌ يُبيِّنُ تَنزيلَ التوراة ، ولكنْ بصيغةِ المبني للمجهول ، وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : 93] ..

.. فالقرآنُ الكريم كما هو دون أيِّ تحوّلٍ نُزِّل من اللوح المحفوظ بصياغتِه التي صاغهُ اللهُ تعالى بها .. وهنا مكمنُ مُعْجِزَتِهِ ، وانفرادِهِ عن باقي الكتبِ السماويّة ..

.. والكُتُبُ السماويّةُ جميعُها دونَ استثناءٍ أُنزِلتْ مِنْ عندِ اللهِ تعالى كونَها مناهج عبادة ، في الوقتِ الذي ينفردُ فيه القرآنُ الكريمُ بالتنزيلِ من عندِ اللهِ تعالى ، كونَهُ معجزةً ملتحمةً بالمنهج ..... وفي النصَّين القُرآنيَّين التاليين أكبرُ دليلٍ على ذلك :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : 3]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء : 136]

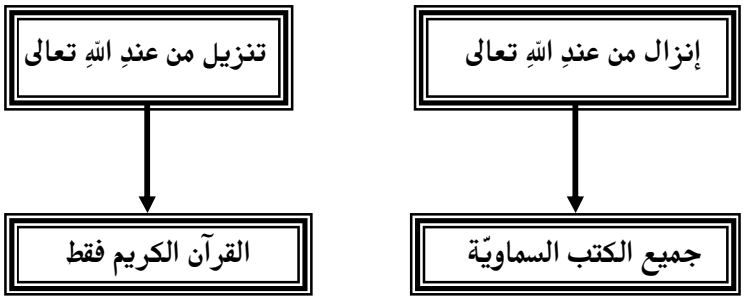

.. وتُعريفُنا للإنزال والتنزيل مُستنبطٌ من كتاب الله تعالى ، فالنصوصُ القرآنيّةُ الحاملة للفعل أنزلَ وتفرّعاتِه ، وللفعل نزّل وتفرّعاتِه ، سواءٌ ما يتعلّق بالقرآن الكريم أم بأيِّ مسألةٍ أُخرى ، كُلُّها تُؤكِّدُ صحّةَ تعريفِنا واستدلالِنا ..

.. إنزال الأمرِ أو الشيءِ من ساحةٍ إلى ساحة ، هو جَعْلُهُ مُسخّراً في إطارِ قوانين الساحة التي تمَّ الإنزالُ إليها .. يقولُ تعالى :

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ [الأنعام : 143 – 144]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر : 6]

.. إنزال هذه الأزواجِ الثمانية من الأنعام ، هو تسخيرُها وتذليلُها بين أيدينا ، لجعلِها في متناول الفائدة .. أي هو إنزالُها من ساحةِ عدمِ التسخيرِ والتذليل إلى ساحةِ التسخير والتذليلِ ..

.. والرياحُ التي يُرسلُها اللهُ تعالى بشراً بين يدي رحمته لواقحَ للسحاب ، هي الآليّة التي يتمُّ بها استخراجُ الماءِ من السحاب ، وتحويلُهُ من حالتِهِ في السحاب إلى حالته كماءٍ مسخّرٍ للفائدة بين أيدينا .. ولذلك نرى صيغةَ الإنزال وليس التنزيل ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ..... ﴾ [الأعراف : 57]

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ... ﴾ [الحجر: 22]

.. وإنزالُ الماءِ من المُزْنِ والمُعْصِرات ، هو استخراجُهُ منها وتسخيرُهُ بين أيدينا ، أي هو تحويلُهُ من حالتِه في المُزن والمُعْصِراتِ إلى حالته التي نستخدمُهُ بها ، ولذلك نرى صيغةَ الإنزال وليس التنزيل ..

﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة : 69]

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : 14]

.. وإنزالُ الحديدِ هو تسخيرُهُ وتطويعُه بين أيدينا ليكون في ساحةِ الاستفادةِ والعمل ، سواءٌ كان ذلك في الصناعاتِ الحربيّةِ كبأسٍ بين البشر ، أم في الصناعاتِ السلميّةِ كمنافعَ للبشر ..

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد : 25]

.. وإنزالُ اللباسِ لبني آدم هو تسخيرُهُ وتذليلُهُ بين أيديهم ، ليكون في متناولِ النفعِ والفائدة ..

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ... ﴾ [الأعراف: 26]

.. وإنزالُ الملائكة بالحيثيّة التي يريدها الكافرون ، هو تحوّلُها بصورةِ عالَمِنا المادّي ..

﴿ ..... لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : 7]

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الفرقان : 21]

﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : 24]

﴿ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [فصلت : 14]

.. وكلُّ المسائل المتعلّقةِ بالفعل أنزلَ وتفرّعاتِهِ في كتابِ اللهِ تعالى ، نستطيعُ إدراكَها من هذا المنظار ..

.. بينما تنزيلُ الأمْرِ أو الشيء ، نراه – في كتابِ اللهِ تعالى – لا يعني تحوّلاً في ماهيّةِ المُنَزَّل ، وهذا يختلفُ عن الإنزال الذي يعني تحوّلاً في الماهيّة بما يناسبُ الساحةَ التي تمّ الإنزالُ إليها .. وفي الآيةِ الكريمةِ التاليةِ بيانٌ يُؤكِّدُ هذه الحقيقة ..

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [النور : 43]

.. لا نرى صيغةَ التنزيلِ في خروجِ الوَدْقِ منَ الركام : ﴿ فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾ .. بينما في مسألةِ البَرَد ، نرى صيغةَ التنزيل : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ ﴾ ، ففي هذه العبارةِ القرآنيّةِ ، نرى صورةً لتنزيلِ البَرَدِ من مراكزِ كثافةِ البَرَد في السماء ، كَوْنَه بَرَدًا قَبْلَ تنزيلِه وبعدَ تنزيلِه ، وليس كَوْنَه مُستخرَجًا من حالةٍ أُخرى ..

فمراكزُ كثافةِ البَرَدِ موجودةٌ في السماء ، ومنها يُنزَّلُ البَرَدُ بماهيّته كَبَرَد .. وهذا ما تُناسبُه صيغةُ التنزيلِ وليس الإنزال ..

.. وهذه الحقيقةُ نراها جليّةً في الآيةِ الكريمة ..

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : 11]

.. فالماءُ المُنزَّلُ هنا للتطهير ، يُصوِّرُهُ الله تعالى دون آلياتِ تحويلِهِ واستخراجِهِ من ماهيّةٍ أُخرى ، أي يُصوِّرُه كتنزيلٍ وليس كإنزال ..

.. والقرآنُ الكريمُ حينما يُصوِّرُ لنا الملائكةَ من زاويةِ عدمِ تغيّر ماهيّتِها قبلَ التنزيلِ وبعدَه ، نراه يصوّرُها لنا بصيغةِ التنزيل ..

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : 25 – 26]

.. وتنزّلُ الملائكة بالروح من أمر الله تعالى على قلوب بعض البشر ، لا يعني تغيّرَ ماهيَّتِها ، ولا يعني تمثّلَها لصورِ عالمنا المادّي ..

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : 2]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : 30]

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : 3 – 4]

.. إنّ تنزيلَ الملائكةِ بماهيّتها الملائكيّةِ دون أيّ تمثّلٍ بصور عالمنا المادّي ، لا يكون إلاّ إذا كان في الأرض ملائكةٌ يمشون ..

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء : 95]

.. فتنزّلُ الملائكة بماهيّتهم الملائكيّة دون تحوّلٍ إلى صورِ عالَمِنا الماديِّ ، يجعلُهم غيرَ مُنظَرين ..

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر : 6 – 8]

.. وهذا الفارق بين الإنزال والتنزيل نراه جليّاً في مسألة المائدة التي طلبها الحواريّون من عيسى عليه السلام ، فقد طلبوا مائدةً وفقَ نواميسِ السماء ، وليس وفقَ نواميسِ الأرض ، أي طلبوا مائدةً من السماء دون تغييرٍ وتحوّلٍ في ماهيّتها ، ولذلك طلبوها بصيغةِ التنزيل وليس الإنزال ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : 112]

.. وعيسى عليه السلام أدركَ حقيقةَ طلبِهم ، وما يترتّب عليه من عذاب في حال كُفْرِهم بعد تنزيلِها ، لأنَّ تنزيلَها بصيغة التنزيل يعني آيةً كاملةً بنواميسِ السماء ، يقتضي الكفرُ بعدها عذاباً كبيراً .. ولذلك قال لهم عليه السلام : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .. وبناءً على ذلك طلبَ عيسى عليه السلام مائدةً من السماء بتحويلِها إلى نواميسِ الأرض ، بتغييرٍ وتحوّلٍ في ماهيّتها ، ولذلك طلبَها بصيغة الإنزالِ وليس التنزيل ..

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة : 114]

.. ولكنَّ الردَّ الإلهيَّ جاء بتنزيلِ هذه المائدةِ كما طلبَ الحواريّونَ دون أيّ تغـــيير في ماهيّتِها ، ليترتّب على الكفر بعد تنزيلِها عذابٌ لا يذوقُهُ أحدٌ من العالمين ، ولذلك يصوّرُ القرآنُ الكريمُ ذلك بصيغة التنزيل ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : 115]

.. وتتجلّى هذه الحقيقةُ أيضاً في إنزال المنّ والسلوى وتنزيلِهِ على بـــني إســـرائيل .. فمسألةُ المنِّ والسلوى وردتْ في كتابِ الله تعالى ثلاثَ مرّات ، منها مرّتان تتعلّقُ بصيغةِ الإنزال ، ومرّةٌ واحدةٌ تتعلّقُ بصيغة التنزيل .. فما الحكمةُ في ذلك ..

.. لقد وُصِفَ المنُّ والسلوى في كتاب الله تعالى بصيغةِ التنزيل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ، في سياقٍ قُرآنيٍّ يُصوِّرُ ما قَبْل معصيةِ بني إسرائيل واتّخاذِهِم العجل ، وبإمكان أيِّ إنسانٍ أن يعودَ إلى سورة (طـــه) ليرى هذه الحقيقة ..

.. وهذا الوَصْفُ هو وصفٌ للمنِّ والسلوى بالماهيّةِ التي نُزِّلت بها تمامـــاً ، دونَ أيِّ تحويلٍ أو تبديل .. ولذلك .. نرى أنَّ العباراتِ القرآنيّةَ التاليةَ مباشرةً للعبارةِ القرآنيّـــة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ لا تحملُ ما يُشيرُ إلى ظلمٍ قد وقع ، كما هو الحال في العبارتين القرآنيّتين المصوِّرتين لإنزالِ المنّ والسلوى ..

.. فالطغيانُ والظلمُ الناتجُ عن معصيةِ بني إسرائيل لله تعالى واتّخاذِهم العجل ، والذي يؤدّي إلى غضبِ الله تعالى ، لم يكن واقعاً حسبَ السياقِ القرآنيِّ السابقِ لِهذهِ العباراتِ القرآنيّة .. وتصويرُ وقوعِه نراه بعدَ العبارةِ القرآنيّة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ..

ولذلك فمسألةُ المنِّ والسلوى المُصوَّرَةُ بهذا السياق ، ما زالت كما هي دون أيِّ تحويلٍ أو تغيير ، ولذلك تُوصَفُ بصيغةِ التنزيل وليس بصيغةِ الإنزال ..

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴾ [طـه : 80 – 81]

.. أمّا في السياقِ القرآنيِّ الذي يُصوِّرُ مرحلةَ ما بعدَ معصيتِهم واتّخاذِهِم العجـــلِ ، فإنّنا نرى مسألةَ المنِّ والسلوى بصيغةِ الإنزال ، وبإمكان أيِّ إنسان أن يعودَ إلى ســـورتي البقرةِ والأعراف ليرى هذه الحقيقة ..

.. وهذا التصويرُ بصيغةِ الإنزال يُبيّنُ لنا التغييرَ والتحوّلَ في ماهيّةِ المنّ والسلوى إلى ما هو أدنى .. فالسياقُ القرآنيُّ الذي يصفُ معصيتَهُم واتِّخاذَهُم العجل ، هو سياقٌ ســـابقٌ لهاتين العبارتين القرآنيّتين ، ولذلك فهاتان العبارتان القرآنيّتان تُصـــوِّران مســـألةَ المـــنِّ والسلوى في سياقِ ما بعد اتّخاذِهِم العجل .. ولذلك .. نرى خَلْفَ العبارتين القرآنيّتين ﴿ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ [البقـــــــرة : 57] ، ﴿ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾ [الأعراف : 160] .. نرى العبارةَ القرآنيّة : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ ..

﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : 57]

﴿ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف : 160]

.. فالظلْم والطغيان الذي حذَّرهم الله تعالى من الوقوعِ فيه ، في السياقِ التالي مباشرةً للعبارةِ القرآنيّةِ المصوِّرةِ لتنزيل المنِّ والسلوى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طــه : 80 – 81] .. هذا الظلمُ من معصيةٍ واتّخاذٍ للعجْلِ ، يُصوِّرُهُ اللهُ تعالى في السياقِ السابقِ للعبارتين المصوِّرتين لإنزال المنِّ والسلوى ، وفي هذا بيانٌ على أنَّ مسألةَ المنِّ والسلوى أُنزلَتْ بعد أن كانتْ مُنزَّلة ، أي تغيّرت ماهيّتُها وحُوِّلَتْ عن ماهيّتها التي نُزّلت بها ..

.. وكما قلنا .. لم تقترن تفرّعات الفعل نزّلَ من بين الكتبِ السماويّة ، كتنزيلٍ من عند الله تعالى ، إلاَّ بالقرآنِ الكريم ، وذلك لكونِ القرآنِ الكريم ينفردُ بكوْنه معجزةً نازلةً من السماء دون أيِّ تحويل أو تبديل ، ولذلك لا تستطيعُ المخلوقاتُ الإتيانَ بمثلها .. وهناك ارتباطٌ واحد بالتوراة ، ولكن بصيغة المبني للمجهول ، كما بيّنا سابقاً ، وهذا يتعلَّقُ بتنزيلِ التوراةِ كصياغةٍ لُغويّةٍ من عندِ الملائكة : ﴿ ..... إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ..... ﴾ [آل عمران : 93] ..

.. وفي الوقت ذاتِه نرى تفرعات الفعل أنزل تتعلّقُ بالكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم ، وذلك لكونها مناهجَ مُيَسَّرةً بين أيدي المُكلّفين ... إذاً الكتبُ السماويّةُ جميعاً بما فيها القرآن الكريم ، أنزلت مناهجَ مُيسّرةً للفهم والإدراك بين أيدي المُكلّفــين .. بينمــا ينفردُ القرآنُ الكريمُ بتنزيلِهِ معجزةً من عندِ اللهِ تعالى يتحدّى بها الإنسَ والجن ..